قد أتعبَتْنى همتى وفطنتى فليتنى كنت مهينا جاهلا [١]

وله :

أفكر فى حالى وقرب مَنيتى وسَيْرى حثيثا فى مصيرى إلى القبرِ
فيُنشىء لى فكرى سَحَائِبَ للأسى تسحُّ هموما دونها وابِلُ القَطْرِ
إلى الله أشكو من وجودى فإننى تعبتُ به مذ كنتُ فى مَبْدَإِ العمرِ
نروح ونغدو للمنايا فجائعٌ تكدره والموت خاتمة الأمر [٢]

* **محمد بن قاسم الصقلى . تقدم فى محمد بن أحمد بن قاسم** [٣]

٢١٣ – محمد بن أبى الليث الحارث بن شَدَّاد الإيادى الخوارزمى الحنفى يكنى أبا بكر .

قال ابن يونس : ويقال إن أصله من بلخ ولد سنة ... [٤] وتفقه على مذهب الكوفيين ثم دخل مصر فيما ذكر أبو عمر الكندى قبل أن يلى القضاء فى سنة خمس ومائتين [٥] ، فأقام بها ثم قدم أبو الوزير صاحب الخراج ومعه عهد من قبل المعتصم فى ربيع الآخر سنة ست [وعشرين ومائتين] وكان بفلسطين قاض يقال له محمد بن الحارث بن النعمان الإيادى ، فكانا يتجاذبان مايرد من العراق إلى محمد بن الحارث القاضى ، فانتسب محمد قاضى مصر لكنية أبيه فصار يقال له محمد بن أبى الليث لذلك . قال أبو عمر : كان أول ماصنع ابن أبى الليث لما ولى أن أرسل مناديا ينادى : برِئت الذِّمة ممن كان فى يده شىء من مال يتيم أو غائب إن لم يحضره . فتسارع الناس

---

(١) فوات الوفيات جـ ٣ ص ٤٤٦ .

(٢) فوات الوفيات جـ ٣ ص ٤٤٦ والوافى جـ ٤ ص ٢٠٣ .

(٣) مضت ترجمته تحت رقم ١٧٣ .

٢١٣ – أخباره فى : فتوح مصر ٢٧٥ ، والولاة والقضاة ٤٤٩ ، وتاريخ بغداد ٢٩٢/٢ ، وتاريخ الإسلام وفيات سنة ٢٥٠ ، والجواهر المضيئة ١١١/٣ ، والمقفى ٥١٤/٥ ، والتلخيص ورقة ٩٥ ، وحسن المحاضرة ١٤٤/٢ .

(٤) بياض بالأصل .

(٥) سنة خمس ومائتين تحرفت فى الأصل إلى « سنة خمس وثلاثين ومائتين » وصوابه من الكندى والمقريزى فى المقفى .

إلى حمل ما بأيديهم فأدخلوه بيت المال ، وأقام فى قبض ذلك رجلا يقال له حمدون ابن عمر ، ثم باشر الأحباس بنفسه ودونها بخطه وقضى فى كثير منها [١] .

وكان يقول : لقد هممت أن أضع يدى على كل حُبس بمصر حتى الأهلية احتياطا ثم لم يفعل ذلك ، فقيل إن الحارث بن مسكين كان يقول : ليته فعل .

ودَسّ ابنُ أبى الليث من ادعى عَلَى هارون بن عبد الله الذى كان قاضيا قبله أنه استهلك من مال بيت المال ، فأمر بإحضاره ، فأحضر مجلسه ، ونُوظِر فى ذلك مرة بعد أخرى إلى أن ثبت عليه مارفع عليه . وكان سبب ذلك أنه كان يدفع المفتاح إلى مَن يثق به فحاز منه مالا كثيرا . وكان ابن أبى الليث يمتهن هارون ويجلسه مع الخصوم بين يديه إلى أن ورد عليه كتاب من العراق بعدم التعرض له فكف عنه .

وقال أبوعُمر : أخبرنى ابن قُدَيْد أن الواثق لما ولى الخلافة ورد كتابه بواسطة ابن أبى دُواد عَلَى ابن أبى الليث بأن يمتحن الناس بخلق القرآن ، فشدّد فى ذلك ولم يترك فقيهاً ولا متحدثا ولا مؤذنا حتى أخذه بالمحنة ، وملأ السجون ممّن لم يجب ، وهرب كثير من الناس ، وأمر بأن يكتب على المساجد لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق . ومنع الفقهاء من أصحاب مالك من الجلوس فى المسجد الجامع .

وقال نصر بن مَرْزُوق : كنت فى المسجد فسمعت صُراخا ورأيت الناس قد ماجوا ، فنظرت فإذا هارون بن سعيد الأيلى وطَيْلَسانه تحت عضُده وعمامته فى عنقه ، ومَطَر غلامُ ابن أبى الليث يسوقه [بعمامته] وهارون ينادى بأعلى صوته : القرآن مخلوق . ثم أخرجه من المسجد فطوف به وهو على تلك الصورة [٢] .

وكذلك صنع بمحمد بن عبد الله بن عبد الحكَم ، هجم عليه مَطَر فأَخذ بِرِجله فوثَب محمد فأراد مطر أن يأخذ قَلَنْسُوَتَه فبادر محمد [فأخذها] فجعلها فى كُمّه ، ثم أقامه مطر فطوف به ينادى بخلق القرآن فمضى على طائفة المعتزلة فقالوا له : الحمد لله الذى هَدَاك يا أبا عبد الله . وهرب أحمد بن صالح من ابن أبى الليث إلى اليمن ولزم يوسف بن أبى طَيْبَه منزله فلم يظهر . وكذلك محمد بن سالم ، ثم ظفر به فحمله إلى العراق . وهرب ذو النون الإِخْميمى ثم جاء فوضع [٣] يده فى يده وأجاب [٤] .

---

(١) الخبر فى الكندى ٤٤٩ - ٤٥٠ ومابين حاصرتين منه .

(٢) الخبر فى الولاة والقضاة للكندى ٤٥١ - ٤٥٢ ومابين حاصرتين منه .

(٣) فى الكندى « فوقع » .

(٤) الخبر فى الولاة والقضاة للكندى ٤٥٢ - ٤٥٣ ومابين حاصرتين منه .

قال أبو عُمر : كان أحمد بن أبى أمية أوصى إلى يونس بن عبد الأعلى وابن الغَمر [١] وغيرهما ، ومات ولم يخلف إلا بنتا ، فوضع الأوصياء أيديهم على المال فقضى ابن الغَمر عن نفسه دينا كان عليه من ذلك المال ، فطولب يونس بالمال لما ولى محمد بن أبى الليث فحمل ماكان حمل إليه منه ، فبقيت بقايا فطولب بها فشهد عليه اثنان أن المال حمل إليه ، فأمر ابن أبى الليث بسجنه عدة سنين إلى أن حضر قاصد المتوكل ، فأمر برفع المحنة ، وانكشف عن محمد بن أبى الليث ، فقيل له إن يونس بن عبد الأعلى [يشهد عليه وهو] فى سجنه فأحضره وسأله عن محمد بن أبى الليث فقال : ما علمت إلا خيرا ، فقيل له : فإنه سجنك عدة سنين ! فقال : ليس الذنب له . الذنب للذى شهد علىّ فأطلقه القاصد [٢] .

ويقال إنه أقام فى سجنه سبع سنين . فلما قدم يزيد التركى بعد ذلك من قبل المتوكل لاستخراج أموال الجروى أخرج ابن أبى الليث من السجن ، وكان سجن لما عزل وأمره أن يحكم على بنى عبد الحكم فحكم عليهم وحكم ببراءة يونس بن عبد الأعلى مما كان رمى به شكرا على كلامه الماضى فى حقه .

وقال نصر بن مرزوق كان سعيد بن زياد المعروف بالقَطاس من أهل الدين والفضل ، وكان شهد عند لَهِيعَة بن عيسى ومن بعده ، وله حلقة فى المسجد ، فلما ولى ابن أبى الليث بلغه عنه أنه يذكره بالسوء ويرميه بالبدعة ويدعو عليه ، فأحضره وأنكر عليه مابلغه عنه فَجَحَدَ فصرفه ، ثم بلغه أنه عاود ذلك .

وذكر له شخص أن القطاس لم يعتق [٣] ، فأقام شهودًا فشهدوا عند ابن أبى الليث بذلك ، فأحضره وأقامه للناس ، فأتى [٤] رجل يقال له ابن الأبرش فادعى رقبته [٥] وأقام شهودًا فشهدوا بذلك . فحبسه القاضى خمسة أيام ، ثم حكم بشهادتهم ، وأمر به فنودى عليه فبلغ ثمنه دينارًا ، فاشتراه ابن أبى الليث ودفع الدينار لابن الأبرش ، وأشهد عليه أنه أعتقه .

ونقل الطحاوى عن يحيى بن عثمان بن صالح أنه حضر ذلك . قال : وسمعت محمد بن العباس يقول : ماعلمت أن أحدًا نَزَلَ به مانزل بالقطاس .

---

(١) ابن الغمر تحرف فى الأصل إلى « ابن أبى الغمر ، وصوابه فى الولاة والقضاة ص ٤٥٤ والمقفى ٢٥١/١ .

(٢) الكندى ص ٤٥٥ ومابين حاصرتين منه .

(٣) فى الولاة والقضاة « أن القطاس مملوك لم يجر عليه عتق » .

(٤) فى الأصل « فانتدب » والمثبت لدى الكندى .

(٥) فى الأصل « رقيته » والمثبت لدى الكندى .

وكان ابن قُدَيْد يقول : أقبح ما أتى به أهل المسجد شهادتهم على القطاس حتى باعوه .

قال الطحاوى : وقلت لمحمد بن العباس : ماكان حال الذين شهدوا عليه ، قال : لم يكونوا عدولا ، وإنما رَدّ ابن أبى الليث أمرهم إلى رجلين فعدلاهم فحكم عليه بالرق .

قال الطحاوى : وأخبرنى غير واحد من أهل الثقة أن الشهادة المذكورة كانت زُورًا .

وقرأت فى بعض التواريخ أن محمد بن أبى الليث أولا كان ينكر القول بخلق القرآن حتى كتب إلى ابن أبى دُواد ينكر عليه ذلك ويقول فى كتابه : لقد أعظمت على الله الفِرْيَة . هل كان الخلفاء الراشدون يقولون ماقلت أو يفعلون مافعلت ؟ الويل لك من ديان يوم الدين . ويقال إنه لما عزل قام رجل ليضربه فعجز فقال ابن أبى الليث : ماكان الله ليسلط أيدى الظالمين على أجساد تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

قرأت على أم الحسن التنوخية ، عن سليمان بن حمزة أنبأنا جعفر بن على أنبأنا السلفى أنبأنا على بن الحسين الموازينى ، عن محمد بن سلامة القضاعى قال قرأت على محمد بن أحمد بن شاكر أن الحسن بن رشيق حدثه ، حدثنا أحمد بن سعدون بن عباد المروزى قال سمعت أبا إبراهيم المزنى يقول قال لى أبو بكر محمد بن أبى الليث القاضى : قطع العادة عداوة مستفادة .

وقال يحيى بن عثمان بن صالح : كان يحيى بن زكريَّاء مولى كندة مقبولا عند القضاة وشهد عند ابن أبى الليث زمانًا ثم أوقفه . وكان يجلس فى الجامع فيرجف بعزل ابن أبى الليث ويشنع بذلك ، فبلغ ذلك ابن أبى الليث فنهاه فعاد فأرسل إليه فحبسه زمانا .

وقال كَهْمَس بن مَعْمَر : لما أمر ابن أبى الليث بطَرح القلانس الطوال لم يستمر على لباسها إلا محمد بن رُمح بن المهاجر فلم يعارضه محمد بن أبى الليث .

وقال إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم بن تَميم توقّف النيل فاستسقى أهل مصر فحضر ابن أبى الليث مع الناس وهو قاضٍ ، فوثب به العامة فأخذوا قلنسوته ، فلعب بها بعض الصبيان . وكان ذلك بعدما فعل بقلانس الشيوخ بثمانية أيام .

وقال ابن قديد : قدم الحارث بن مسكين بعد أن أقام بالعراق خمس عشرة سنة ، فاتفق موت حمدون بن عمر بن إياس وهو ابن أخت محمد بن أبى الليث ، فحضر

الحارث بن مسكين جنازته ، وأطال الجلوس على باب داره ، فشكر له ذلك ابن أبى الليث ، فأراد أصحاب ابن أبى الليث بعد ذلك أن يمتحنوا الحارث فكفهم عنه ابن أبى الليث وقال لهم : أليس كان بالعراق ؟ قالوا : بلى . قال : فإذا كان السلطان هناك كف عنه ! فمالنا وله فسكتوا عنه [١] .

وقال يحيى بن عثمان : قدم قوصرة واسمه يعقوب بن إبراهيم من العراق على البريد فى ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ، وقدم معه حسن الخادم المعروف بعَرَق الموت . فطالبوا بنى عبد الحكم بمال على عبد العزيز الجروى ، فأحضر بنو عبد الحكم براءة بينهم وبين الجروى فمال نحوهم قوصرة وتحامل عليهم ابن أبى الليث ، وكتب إلى العراق بأن قوصرة مال معهم ، فجاء الأمر بعزل قوصرة عن البريد فخرج عن مصر ، فلما كان ببعض الطريق ورد عليه كتاب يأمره بالرجوع والكشف على محمد بن أبى الليث ، فرجع وكشف عنه وبالغ فى أمره وكاتب المتوكل بما صح من أمره ، فورد عليه كتاب المتوكل بحبس ابن أبى الليث واستصفاء ماله فحبس ، وحبس أولاده وأعوانه [٢] .

ووثب أهل مصر على مجلس ابن أبى الليث فرموا حُصُره وغسلوا موضعه [بالماء] وذلك فى شعبان سنة خمس وثلاثين [ومائتين] [٣] .

ثم ورد كتاب المتوكل يأمر بلعن ابن أبى الليث على المنبر فلعن ، وضجت العامة بلعنه وبقى بالسجن إلى شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين [ومائتين] فورد كتاب المتوكل صُحبة عبد الله بن عبد العزيز الجروى بمطالبة بنى عبد الحكم بالمال وأذن لابن أبى الليث بالحكم عليهم فأخرج من السجن فحكم على زكرياء كاتب العُمرىّ بمائة ألف دينار . واشتد الأمر على بَنى عبد الحكم حتى مات عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم فى العذاب .

ثم ورد كتاب المتوكل بإطلاق بنى عبد الحكم وردّ أموالهم عليهم وبأن يطاف بابن أبى الليث على حمار بإكاف . فطيف به فى جميع الفسطاط وذلك فى رمضان سنة سبع وثلاثين [ومائتين] ولم يزل فى السجن إلى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ومائتين .

---

(١) الولاة والقضاة ٤٦٢ .

(٢) الولاة والقضاة ٤٦٣ .

(٣) الخبر فى الولاة والقضاة ٤٦٣ ومابين حاصرتين منه .

قال يحيى بن عثمان بن صالح المصرى : كان زى أهل مصر وجمال شيوخهم وأهل الفقه والعدالة منهم لبس القلانس الطوال ، وكانوا يبالغون فيها ، فأمرهم ابن أبى الليث بتركها ومنعهم من لبسها وأن يتشبهوا بلباس القاضى وزيه ، فامتنعوا . فجلس فى مجلس حكمه فى المسجد وقد اجتمع أولئك الشيوخ ، فأقبل عبد الغنى ومطر جميعا فضربا رءوس الشيوخ حتى ألقوا قلانسهم .

قال ابن أبى الحَديد : [حدثنى عُتبة بن بِسطام قال] رأيت قلانس الشيوخ يومئذ فى أيدى الصبيان والرعاع يلعبون بها ، وكانوا بعد ذلك لا يدخلون إلى ابن أبى الليث ولا يحضرون مجلسه بقلنسوة [١] .

ولما عزل ابن أبى الليث استمر كثير من الشيوخ على ترك لبس القلانس . واتفق أن أهل مصر خرجوا إلى الاستسقاء فخرج ابن أبى الليث فبصُر به بعض المصريين فوثبوا به ورموا قلنسوته ، فرأيت بعد ذلك يلعب بها بعض الصبيان . وكان بين ذلك وبين مافعله بقلانس الشيوخ ثمانية أيام .

ولما أذن المتوكل لابن أبى الليث بالحكم فى أموال الجروى على بنى عبد الحكم أخرج ابن أبى الليث من السجن ، فأمره عبد الواحد بن يحيى أمير مصر أن يحكم فحكم عليهم بألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وأربعة آلاف . وحكم على زكرياء كاتب العُمَرىّ بثمانية آلاف دينار ، وذلك لثمان خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين [ومائتين] [٢] .

ومات عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم فى العذاب لأنه كان أَقَرّ أنه صار إليه من مال الجروى تسعة آلاف دينار ، فألزم بحملها ، فلم يجد عنده مايرد به ، فعذب حتى مات فى ذلك .

وذكروا أنه صار لقوصرة صاحب الخبر اثنا عشر ألف دينار ، ولابن أبى عون ستة عشر ألف دينار ، وعيسى بن صفوان النصرانى كاتب قوصرة ستة آلاف دينار وأقرّ محمد بن هلال أن عنده من مال الجروى نيفا وثلاثين ألف دينار أودعها عنده بنو عبد الحكم .

وقال أبو عمر : أخبرنى أحمد بن الحارث بن مسكين ، حدثنى نصر بن مرزوق ،

---

(١) الخبر فى الولاة والقضاة للكندى ٤٦٠ ومابين حاصرتين .

(٢) الولاة والقضاة ٤٦٤ .

أن ابن أبى الليث لما أذن له فى الحكم وضع يده على ماوجده فى بيت المال وهو نحو مائة ألف دينار . وعشرين ألف دينار ، فبذرها كلها عطايا وجوائز ، ودفع إلى كل مَن كان معه فى الحبس الألف والألفين إلى العشرة ، حتى قال لى جارى : إنه دخل إليه فقال له : إنك تكثر الدعاء لنا والثناء علينا فخذ من [ذلك] المال ماشئت . قال : فأخذت ماقدرت على حمله قال فأرانيه فإذا هو كثير جدا . فقال : ما استطعت أن أحمل أكثر من هذا [١] .

وبعث إلى أبى قولة [٢] - رجل كان ينادمه فى أيام قضائه - بثلاثة آلاف دينار فتحدث أبو قولة بها يثنى عليه حتى يبلغه فيزيده . فبعث أمير البلد فأخذها [٣] منه .

وقال عُتْبَة بن بسطام سألت ابن أبى الليث عن مذهبه فى القَدَر فأجاب بجواب أهل السنة ، ولم أسأله عن مذهبه فى القرآن . وقد شهد عنده شاهدان فقبلهما . فقال له رجل أتقبلهما وهما لا يقولان بخلق القرآن ؟ فلم يلتفت ابن أبى الليث لقوله ، فلعله كان يفعل ذلك لأجل رضا السلطان [٤] .

وقال يحيى بن عثمان : حدثنى نوح بن عيسى بن المُنكَدِر ، قال : رأيت ابن أبى الليث فى مجلسه فى الجامع وهو مشجوج فسألت عن ذلك فقيل لى : إن شيخا ينادمه ضربه عليه فشجه [٥] .

وقال إبراهيم بن عبد الصمد : دعوته إلى وليمة فكان أجودنا شربا [٦] .

وتأخرت وفاة ابن أبى الليث إلى سنة خمسين ومائتين فمات فيها حينئذ ببغداد .

وقد مدح الحسين بن عبد السلام الشاعر المصرى المعروف بالجَمَل محمد بن أبى الليث بقصيدة طويلة ذكر فيها سيرته فيما تقدم فى المصريين يقول فيها :

ووَليت حُكْمَ المسلمين فَلَمْ تَكُنْ ... بَرِم اللِّقاء ولا بِفَظٍّ أَزْوَرِ

ولقد بَجَسْتَ العِلْمَ فى طُلاَّبِهِ ... وَفَجَّرْتَ منه ينابعًا لم تُفْجَرِ

فحميتَ قولَ أبى حنيفة بالهُدَى ... ومحمدٍ واليُوسُفِيِّ الأَذْكَرِ

---

(١) الولاة والقضاة ٤٦٥ - ٤٦٦ ومابين حاصرتين منه .

(٢) فى الكندى « قديسة » بدل « قولة » .

(٣) الولاة والقضاة ٤٦٦ .

(٤) الولاة والقضاة ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٥) الولاة والقضاة ٤٦٧ .

(٦) الولاة والقضاة ٤٦٧ .

وفتى أبى ليلى وقَوْلِ قَرِيعِهِمْ ... زُفَرِ القِيَاس أَخِى الحَجاجِ الأَنْظَرِ
وَحَطَمْتَ قولَ الشافعِىِّ وصَحْبِهِ ... ومقالة ابن عُلَيَّة لم تُصْحَرِ
أَلْزَمْتَ قولَهم الحضيضَ فلم يَجز ... عَرْضَ الحضيض فَإِنْ بَدَالَكَ فَاشْبُرِ
والمالكيةُ بَعد ذِكْرٍ شائِعٍ ... أَخْمَلْتَها فَكَأَنَّها لَمْ تُذْكَرِ
إِنَّ ابنَ هُرْمُزَ أَوْربيعة لا يَرَى ... ماذَا تقوَّل بالمقال الأَجْوَرِ
كَسَّرْتَه فَهَوَى بِرَأْيِكَ كَسْرَةً ... لَبِثَتْ على قِدَمِ المَدَى لَمْ تُجْبَرِ
أَعْطَتْكَ ألْسِنَةٌ أَتَتْكَ ضَمِيرَها ... وَأَتَتْكَ ألسنةٌ بمالَمْ تُضْمِرِ
وأَطَفْتَ بالأَيْلِىِّ يَنْعَقُ صائحًا ... فِى كُلِّ مَجْمَعِ مَشْهَدٍ أَوْ مَحْضَرِ
ومحمدُ الحَكَمِىُّ أنت أَطَفْتَهُ ... وأخاه يَنْعَقُ بالصِّياحِ الأَجْهَرِ
كُلٌّ يُنَادِى بالقرآن وَخَلْقِه ... فَشَهَرْتَهُم بمقالةٍ لَمْ تُشْهَرِ
لَمْ تَرْضَ أَنْ نَطَقَتْ بها أفواهُهُمْ ... حتى المساجِدُ خَلْقَهُ لَمْ تُنْكِرِ
لما أَرَيْتَهُمُ الرَّدَى مُتَصَوَّرًا ... زعموا بأن الله غَيْرُ مُصَوِّرِ
أَحْجَرْتَ يُوسُفَ فى خِزَانَةِ بَيْتِهِ ... فَطَوَتْه عنك وطَالَمَا لم يحجر (١)
أَأخليت من عُمَرِ الزناء مقامه (٢) ... وَعَمَرْتَ مِنْه مَدَاخِلاً لَمْ تُعْمَرِ
وَكَفَوْنَكَ الأَرْضُونَ حِين سَأَلْتَهَا ... حَتَّى ابنُ صَالِحٍ الْخَبِيثِ الأَكْفَرِ
وَثَوَى ابنُ سَالِمَ خُفْيَةً فِى بَيْتِهِ ... ثُمّ امْتَطَى غَلَسَ الظَّلامِ الأَسْتَرِ
فَأُتِى بِهِ كَفُرَيْجَ أَوْ كَأَبِى النَّدَى ... وَالنَّاسُ بَيْنَ مُهَلِّلٍ وَمُكَبِّرَ
وَكَذَاكَ دَاوُدُ بْنُ حَمّادَ اختَفَى ... بَعْدَ الإِجَابَةِ بِالْخَبِيثِ الأَغْدَرِ
أَسَفِى عَلَى شُمْطَانِهِ إِذْ أَفْلَتَتْ ... مِنْ سَائِقٍ يَشْتَالُهَا أَوْمُجْرِرِ
أَنْ لَا أَرَى مَطَرًا يَطُوفُ بِنِصْفِهَا ... وَالنِّصْفُ عِنْدَ مُحَلِّقٍ وَمُقَصِّرِ
وَدَعَوْتَ أَصْحَابَ الْوَصَايَا بِالَّذِى ... قَعَدُوا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَاثِ الأَوْفَرِ
فَأَتَاكَ مَنْ خَشِىَ الْعِقَابَ بِمَالِهِ ... وَطَوَى الْوَصِيَّةَ كُلُّ عَوْدٍ مُجْسَرِ
فَجَعَلْتَ أَطْبَاقَ السُّجُونِ بُيُوتَهُمْ ... لَا يَأْنَسُونَ بِمُقْبِلٍ أَوْ مُدْبِرِ

---

(١) كذا لدى الكندى الذى ينقل عنه المصنف . وفى الأصل « وطردته ولطال مالم يحجر » .

(٢) كذا لدى الكندى الذى ينقل عنه المصنف . وفى الأصل « أخليت من عمر الرياء مقامه » .

وَثَنْيتَ وَحْدَتَهُم بِيُونُسَ مُؤْنِسًا ... وَفَتَى أَبِى عَوْنِ الحُتُونِ الْأَكْبَرِ
طَرَحُوا لَهَا الْأَمْوَالَ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ ... وَلَقُوا السُّجُونَ بِقِعْدَةٍ وَتَصَبُّرِ (١)
أَرْضَى لَهُمْ ضَنْكَ السُّجُونِ وَضِيقَهَا ... وَلَجَاجَ رَأْيِكَ فِى الْأَلَدِّ الْأَفْخَرِ
لَمْ يُشْبِعِ الثُّلُثَانِ جُوعَ بُطُونِهِمْ ... حَتَّى غَشُّوا ثُلُثَ الضَّعِيفِ الْأَفْقَرِ
فَكَأَنَّنِى بِكَ قَدْ حَشَوْتَ بِبَعْضِهِمْ ... وَعْرَ السُّجُونِ وَكُلَّ حَبْسٍ أَقْذَرِ
وَبَطَشْتَ بالقَطُّوسِ بَطْشَةَ قَائِمٍ ... بِالْحَقِّ غَيْرِ مُقَصِّرٍ وَمُعَذِّرِ
مَازِلْتَ تَفْحَصُ عَنْ أُمُورِ شُهُودِهِ ... فِى السِّرِّ وَالْعَلَنِ الْمُبِينِ الْأَظْهَرِ
فَرَبَطْتَهُ فِى رِقِّهِ وَمَنَعْتَهُ ... يَطَأُ الْحَرَائِرَ وَهْوَ غَيْرُ مُحَرَّرِ
والآخذوه رأوه فى أيديهم ... عند ابتياع بطائل مستكبر
هَذِا النِّدَاء وَهَذِه أُذُنِى لَهُمْ ... إِنْ جاء فِيهِ بِغَيْرِ فَلْسٍ أقشر
يُفْتِى وَيَنْظُرُ فى المُكاتِبِ دَائِبًا ... والْعَبْدُ غَيْرُ مُكاتِبٍ وَمُدْبِرِ
وَأَخَفْتَ أيام (٢) الطِّوَالِ وَأَهْلَهَا ... فَرَمَوْا بِكُلِّ طَوِيلَةٍ لَمْ تُقْصَرِ
مَازِلْتَ تَأْخُذُهُمْ بِطَرْحِ طِوَالِهِمْ ... وَالْمَشْيِ نَحْوَكَ بِالرُّءُوسِ الحُسَّرِ
حَتَّى تَرَكْتَهُم يَرَوْنَ لِبَاسَهَا ... بَعْدَ الْجَمَالِ خَطِيَّةً لَمْ تُغْفَرِ
يَتَفَزَّعُونَ بِكُلِّ قِطْعَةِ خِرْقَةٍ ... يَجِدُونَهَا مِنْ أَعْيُنٍ وَمُخَبِّرِ
فَإِذَا خَلاَبِهِم الْمَكَانُ مَشَوْا بِهَا ... وَتَأَبَّطُوهَا فِى الْمَكَانِ الأَعْمَرِ
فَلَئِنْ ذَعَرْتَ طِوَالَهُم فَلَطَالَمَا ... ذَعَرتْ وَمَنْ بِرُؤَائِهَا لَم يَذْعُرِ
كَانُوا إِذَا دَلَفُوا بِهِنَّ لِفُضْلِ ... أَمْضَى عَلَيْهِ مِنَ الْوَشِيجِ الْأَسْمَرِ
كَمْ مُوسِرٍ أَفْقَرْتَهُ وَمُفَقَّرٍ ... أَعْتَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَهْدٍ مُفْقَرِ
مَا إِنْ عَلَيْكَ لَقِيتَ مِنْهُمْ وَاحِدًا ... أَوْفَى الْعَجَاجَ مُدجِجًا فِى مِغْفَرِ
لَبِسُوا الطِّوَالَ لِكُلِّ يَوْمِ شَهَادَةٍ ... وَلَقُوا القُضَاةَ بِمِشْيَةٍ وَتَبَخْتُرِ
مَالِى أَرَاهُمْ مُطْرِقِينَ كَأَنَّمَا ... دُمِغَتْ رُءُوسُهُمُ (٣) بِحُمَّى خَيْبَرِ

---

(١) وتصبر . رواية الكندى « وتبصر » . (٢) فى الأصل « أمثال » والمثبت عن الكندى .
(٣) فى الأصل « دمعت عيونهم » والمثبت عن الكندى وانظر محمد حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ١١٤ - ١١٥ .